الفصل الرابع

التطرف الديني والإنغلاق الفكري في الخطاب الديني

الفصل الرابع

التطرف الديني والإنغلاق الفكري في الخطاب الديني

تمهيد

لا شك أن ظاهرة التطرف ظاهرة عالمية تشمل العالم وأجمعه ولا تقتصر على دولة دون أخرى، كما أن هذه الظاهرة ظاهرة قديمة قدم الإنسانية ذاتها، فما ظهر دين أومذهب أو نظام إلا وكان من بين أعضاءه أوأنصاره متطرفون ومعتدلون، وتتمثل خطورة التطرف في القاعدة الفكرية والاقتصادية التي ينطلق منها، وكذلك درجة اتساعها ومدى التعاطف والتشجيع الذي يلقاه هؤلاء المتطرفون في بداية نشاطهم باعتبارهم مظهراً حياً من مظاهر الأحياء الديني أوالصحوة الدينية، كما أن ظاهرة التطرف ظاهرة مركبة ومعقدة ومتشابه الجوانب ومن ثم لايمكن تشخيصها وعلاجها في إطار منظور واحد فقط مهما كانت أهميته بل لا بد من مراعاة مختلف الجوانب معاً في إطار النظرة الشمولية المتكاملة ولقد نمت ظاهرة التطرف الديني واستشرت في إطار الجماعات الإسلامية، حيث قامت الجماعات الإسلامية وبخاصة تلك التي تكاثرت على ساحة الأحياء الإسلامي أوالصحوة الإسلامية في حقبة السبعينيات، بتطوير جوانب

التطـرف الديني في أفكار كل من العالم الباكسـتاني «أبـو الأعلى المودودى»، والعـالم الإسـلامي «سـيد قطب»، ولقـد كان هـذا التطويـر في جانب منه انعكاساً لفكر الشباب وسلوكـهـم وفي جانب أخر انعكاساً لظروف القسوة التي لقيها أبناء الجماعات في فترة الستينيات والسـبعينيات في القرن العشرين.

وقد سـاهمت مجموعـة مـن العوامـل السياسـية، والاقتصاديـة والدينـية والثقافيـة في اسـتشراء هـذه الظاهـرة داخل الجماعـات الإسـلامية في حقبتي السـبعينيات والثمانينات مما كان لها ابلغ الأثر والخطورة علي استخدام أساليب العنف والتطرف. وقد استطاعت هذه الجماعات الإسلامية أن تجند عدداً كبيراً مـن الشـباب وأخضعتهم لنوع من التربية الإسـلامية المتطرفـة مما تمخص عنها مظاهر سلـوكيـة وفكرية لها آثارها الاجتماعية الضارة على المجتمع المصري.

ولتوضيح ذلك فقد حاول هذا البحث الانطلاق من التساؤلات الآتية:

ماذا يعتقد بالتطرف الديني؟

كيف نما التطرف الديني داخل الجماعات الإسلامية وأصبح ظاهرة عامة؟

ما أسباب التطرف الديني وبواعثه في المجتمع المصري؟

ما أهم المظاهر الفكرية والسـلوكية للتطرف الديني والآثار الاجتماعية الناجمة عنة؟

أولاً: مفهوم التطرف وأبعاده

تُعـد مشـكلة التطرف مـن القضايا الرئيسـية التـي يهتم بـه الكثير من المجتمعات المعـاصرة، فهي قضية يومية حياتية، تمتـد جذورها في التكوين

الهيكلي للأفكار والمُثل والأيديولوجية التي يرتضيها المجتمع. فالفكر المتطرف شأنه شأن أي نسق معرفي، بمثابة ظاهرة اجتماعية تتأثر وتؤثر في غيرها من ظواهر، مرتبطة إلى حد كبير بالظروف التاريخية والسياسية والدينية والاجتماعية والاقتصادية وغيرها من ظروف يتعرض لها المجتمع.

يُعد مفهوم التطرف من المفاهيم التي يصعب تحديدها أو إطلاق تعميمات بشأنها، نظراً لما يُشير إليه المعنى اللغوي للتطرف من تجاوز لحد الاعتدال. وحد الاعتدال نسبي، يختلف من مجتمع لآخر وفقاً لنسق القيم السائد في كل مجتمع. فما يعتبره مجتمع من المجتمعات سلوك متطرف من الممكن أن يكون مألوفاً في مجتمع آخر، فالاعتدال والتطرف مرهون بالمتغيرات البيئية والحضارية والثقافية والدينية والسياسية التي يمر بها المجتمع.

كما يتفاوت حد الاعتدال والتطرف من زمن لآخر، فما كان يُعد تطرفاً في الماضي قد لا يكون كذلك في الوقت الحاضر ومع ذلك حاول بعض الباحثين التوصل إلى تعريفات لمفهوم التطرف، نتناولها فيما يلي:

فُسر التطرف على أنه «اتخاذ الفرد موقفاً متشدداً يتسم بالقطيعة في استجاباته للمواقف الاجتماعية التي تهمه، والموجودة في بيئته التي يعيش فيها هنا والآن؛ وقد يكون التطرف إيجابياً في القبول التام، أو سلبياً في اتجاه الرفض التام، ويقع حد الاعتدال في منتصف المسافة بينهما»[1].

واستُخدم مفهوم التطرف ليشير إلى الخروج عن القواعد الفكرية

(1) طه أحمد المستكاوي، «العلاقة بين التطرف والاعتدال في الاتجاهات الدينية وبعض سمات الشخصية»، رسالة ماجستير، غير منشورة، كلية الآداب، جامعة عين شمس، 1982.

والقيم والمعايير والأساليب السلوكية الشائعة في المجتمع، مُعبراً عنه بالعزلة أو بالسلبية والانسحاب، أو تبني قيماً ومعاييرها مختلفة، قد يصل الدفاع عنها إلى الاتجاه نحو العنف في شكل فردي أوسلوك جماعي منظم، بهدف إحداث التغيير في المجتمع وفرض الرأي بقوة على الآخرين.

و يُعرف التطرف أيضاً في أن «التطرف قد يتحول من مجرد فكر إلى سلوك ظاهري أوعمل سياسي، يلجأ عادة إلى استخدام العنف Violence كوسيلة لتحقيق المبادئ التي يؤمن بها كفكر متطرف، أو اللجوء إلى الإرهاب النفسي أو المادي أو الفكري ضد كل ما يقف عقبة في طريق تحقيق تلك المبادئ والأفكار التي ينادي بها هذا الفكر المتطرف[1].

يرتبط التطرف بالعديد من المصطلحات، منها الدوجماطيقية والتعصب. إن التطرف وفقاً للتعريفات العلمية يرتبط بالكلمة الإنجليزية Dogmatism أي الجمود العقائدي والانغلاق العقلي. والتطرف بهذا المعنى هو أسلوب مُغلق للتفكير يتسم بعدم القدرة على تقبل أية معتقدات تختلف عن معتقدات الشخص أوالجماعة أوعلى التسامح معها. و يتسم هذا الأسلوب بنظرةٍ إلى المُعْتقَد، تقوم على ما يأتي:

1. أن المُعْتقَد صادق صدقاً مطلقاً أو أبدياً.
2. أن المُعْتقَد يصلح لكل زمان ومكان.
3. لا مجال لمناقشته ولا للبحث عن أدلة تؤكده أو تنفيه.

(1) محمد أحمد بيومي، «ظاهرة التطرف، الأسباب والعلاج»، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، 1992، ص 5.

4. المعرفة كلها بمختلف قضايا الكون لا تُستمد إلا من خلال هذا المُعْتقَد دون غيره.

5. إدانة كل اختلاف عن هذا المُعْتقَد.

6. الاستعداد لمواجهة الاختلاف في الرأي ـ أو حتى التفسير ـ بالعنف.

7. فرض المُعْتقَد على الآخرين ولو بالقوة[1].

يتبنى التطرف اتجاهاً عقلياً وحالة نفسية تُسمى بالتعصب Prejudice للجماعة التي ينتمي إليها، والتعصب حالة من الكراهية تستند إلى حكم عام يتسم بالجمود وعدم المرونة، وأنه قد يكون على مستوى الإحساس، وقد يُعبر صاحبه عنه. وقد يوجه إلى جماعة بأكملها أو إلى عضو فرد يمثل هذه الجماعة. ويُلاحظ أن الأكثر ميلاً إلى تبني النظرة التعصبية هم المتطرفون[2]. وفي حالة غياب الحوار واللغة المشتركة، يكون الدفاع المتشدد عن المبادئ التي يؤمن بها الفرد المتعصب.

إن التعصب هو انحراف عن معيار العقلانية لعدد من المعايير السلوكية المثالية، يكون على شكل حكم متعجل، ورفض تعديل مسبق أوتعميم مفرط، أوالتفكير في إطار القوالب النمطية، ورفض تعديل الرأي في ظل ظهور دلائل جديدة، ورفض السماح أوالاهتمام بالفروق الفردية.

(1) سمير نعيم أحمد، «المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الديني»، في كتاب «الدين في المجتمع العربي»، مركز دراسات الوحدة العربية، الجمعية العربية لعلم الاجتماع، بيروت، 1990، ص 217، 218.

(2) جوردون مارشال، «موسوعة علم الاجتماع»، ترجمة محمد الجوهري وآخرون، المشروع القومي للترجمة، المجلد الأول، القاهرة، 2000، ص 427.

وبالتالي فالمتطرف المشحون بصبغة تعصبية وغالباً ما ينعزل عن الفكر السائد، خاصة في الحالات التي يمثل فيها الأقلية عن الأغلبية. وقد يصل التطرف إلى نهاية مقياس الاعتدال، إما بسبب شطط في الأفكار أو السلوك، أو بسبب أساليب قمعية يقوم بها النظام مع معتنقي هذا الفكر. ويتحول المتطرف من فكر أوسلوك مظهري إلى عمل سياسي. هنا يلجأ المتطرف إلى استخدام العنف لتحقيق المبادئ التي يؤمن بها الفرد أوجماعته الدينية أو السياسية أوالفئوية.وعندما تستطيع الجماعة المتطرفة أن تحقق بعض الانتصارات، أوتملك وسائل العنف والقوة، قد تلجأ ـ سواء على المستوى الفردي أو المجتمعي أو الدولي ـ إلى استخدام الإرهاب الفكري أوالنفسي أوالمادي ضد كل من يقف عقبة أمام تحقيق أهدافها.

وبهذا فالتطرف في جوهره حركة في اتجاه القاعدة الاجتماعية أو القانونية أو الأخلاقية، ولكنها حركة يتجاوز مداها الحدود التي وصلت إليها القاعدة وارتضاها المجتمع. إن هذا يشكل صعوبة جمة، إذ يصعب تحديد أين يبدأ التطرف وأين ينتهي. فالمتطرف يبدأ كما يبدأ سائر الناس في موقفه من القاعدة الاجتماعية وفي اتجاهها الصحيح، ولايمكن في هذه المرحلة مؤاخذته لأنه يتحرك مع القاعدة الاجتماعية وفي اتجاهها، بينما يمكن للدولة أن تؤاخذ المجرم أو تحاسبه من اللحظة الأولى لنشاطه، لأنه حركة في اتجاه مضاد للقاعدة الاجتماعية. أيضاً فإنه من الصعوبة كذلك تحديد اللحظة التي يتجاوز فيها المتطرف حدود الحركة المقبولة اجتماعياً، والتي يمكن عندها فقط وصفه بالتطرف والغلو.

فمثلاً في حالة التطرف الديني، يكون الفرد متديناً عادياً يأخذ نفسه

بتعاليم الدين ومبادئه، و يدعو الناس إلى الأخذ بذلك، وهو حتى هذه اللحظة يدعو إلى شيء لا يملك المجتمع إزاءه إلا تعبيراً عن الرضا والتشجيع. هذا الداعية غالباً ما يواصل مسيرته نحو التشدد مع نفسه أولاً ومع الناس، ثم يتجاوز ذلك إلى إصدار أحكام قاطعة بالإدانة على من لا يتبعه في مسيرته أودعوته، وقد يتجاوز ذلك إلى اتخاذ موقف ثابت ودائم من المجتمع ومؤسساته وحكومته.

يبدأ هذا الموقف بالعزلة والمقاطعة، حتى يصل إلى إصدار حكم فردي على ذلك المجتمع بالردة والكفر، والعودة إلى الجاهلية. ثم يتحول هذا الموقف الانعزالي عند البعض إلى موقف عدواني يرى معه المتطرف أن هدم المجتمع ومؤسساته هو نوع من التقرب إلى الله وجهاد في سبيله، لأن هذا المجتمع ـ في نظر المتطرف ـ هو مجتمع جاهل منحرف، لا يحكم بما أنزل الله. هنا يتدخل المجتمع لوضع حد لهذا التطرف ومصادره، باعتباره نشاطاً يصل بصاحبه إلى الاصطدام بالعديد من القواعد الاجتماعية والقانونية. فالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر أساء هؤلاء استخدام تفسيرها، ودعاهم هذا إلى الاعتداء على حقوق ليست لهم، و إلى تهديد أمن الأفراد وحرياتهم أو حقوقهم[1].

معنى هذا أن حدود التطرف نسبية وغامضة ومتوقفة على حدود القاعدة الاجتماعية والأخلاقية التي يلجأ المتطرفون لممارساتها. إذن التطرف ظاهرة مَرضَيِّة بكل معنى الكلمة وعلى المستويات النفسية الثلاثة، المستوى العقلي أوالمعرفي، والمستوى العاطفي أوالوجداني، والمستوى السلوكي. فعلى المستوى

(1) معتز سيد عبدالله، «الاتجاهات التعصبية»، رسالة دكتوراه منشورة، كلية الآداب، جامعة القاهرة، 1987، ص 48.

العقـلي يتسـم المتطرف بانعدام القـدرة على التأمل والتفكـير و إعمال العقل بطريقة مبدعة وبناءة، وعلى المسـتوى الوجداني أوالعاطفي يتسم المتطرف بالاندفاعيـة الوجدانية وبشـدة الاندفاع والمبالغة فيـه. فالكراهية المطلقة للمخالفة في الرأي أو المعارضة الشديدة، أو حتى للإنسان بصفة عامة، بما في ذلـك الذات. وأنها كراهية مدمرة، والغضب يتفجر بلا مقدمات ليدمر كل ما حوله أو أمامه.وعلى المسـتوى السـلوكي تظهر الاندفاعية من دون تعقل، ويميل السلوك دائماً إلى العنف.

ثانيا: التطور التاريخي لظاهرة التطرف الديني داخل الجماعات الإسلامية

إن قضيـة التطـرف الديني ظاهرة موجـودة عبر الأديـان، فنجد أن أقدم الحركات الدينية الثوريـة هي جماعة الغيورين، ففى عام 6م ظهرت جماعة يهودية تطالب بجلاء المسـتعمر الروماني، و إقامة دولة يهودية (ثيوقراطيه) كما ينادى بالإصلاح الديني الكامل.

وتتكون هذه الجماعة من أحزاب متطرفة تلجأ إلى العنف والقتـل وهي جماعة السـيكر أي حاملي الخناجر، وأحزاب أخرى معتدلة ترفض العنف، خاصة قتـل اليهود والمتعاونين مع المسـتعمر الروماني ومع هذا فهي تسـاند المتطرفين دون أن تشترك معهم في أعمال العنف. وفي أثناء الثورة الإصلاحية التي قادهـا «مارتين لوثر» قام أحد أتباعه ويدعى «كارل سـتادت» بقيادة جماعة متطرفة بهدف إحداث تغييرات جذرية وسريعة، مما أدى إلى ارتكاب أعمال عنف منها تحطيم التماثيل في الكنائس الكاثوليكية.

أما التطرف الديني في الإسلام - كما يرى «أحمد بهجت» -ظهر في القرن الأول الهجـري من خلال حركات الخوارج، والتي تتشـابه في رأيه في بعض الجوانب مع الجماعات الإسلامية المعاصرة[1].

كما نجـد لظاهرة التطرف الديني صورة أخرى في بداية الإسـلام عندما حاول بعض الشـباب التسلل إلى المسـجد الحرام ومحاولة إدخال السلاح به، ومبايعة المهدي المنتظر لديهم.

كـما أن هنـاك صورة أخـرى للتطرف الديـني في بدايات الإسـلام وهي التـي أودت بحياة الخليفة الثالـث «عثمان بن عفان»، وفي هـذه الحالة نجد أن البواعـث لها كانت خليطاً من الفتنة السياسـية والتطـرف الديني إلا أن التحليـل النهـائي يبـدو وكأن للتطرف الديـني الدور الأسـاسي، فقد كانت كل المآخـذ التي روجهـا المتطرفون يعتمد في تقديرهم عـلى مخالفات دينيه، والتطـرف كظاهرة هو نوعاً مـن القلق الزائد الذى يعـانى منه المتطرف إما لفـراغ فكـرى أو لنظرة تشـاؤمية، أو طاعة عميـاء لاحد القـادة الدينيين، ومحاولة وضع حل لا عادة الإسـلام إلى مكانه في المجتمع الإسلامى، والعنف كأحد وسـائل التطرف ظاهرة اجتماعية وأهدافها معروفة، سواء في أواخر الأربعينيات ومنتصف الخمسينيات والستينيات أو في السبعينيات من القرن العشرين بنفس الأفكار، ونفس الوسائل ونفس الأهداف[2].

(1) محمد ياسر الخواجة، «علم الاجتماع الديني (المفاهيم والقضايا)»، دار المصطفى للطباعة والنشر، طنطا، 2003، ص 368 و369.

(2) رفيق حبيب، الإحتجاج الديني والصراع الطبقي في مصر، سينا للنشر، القاهرة 1989، ص. 14.

وهـذا مـا يؤكد أن التطـرف الدينى ظاهـرة لها وجودها عـبر الأديان في كل زمـان ومكان، ومحاولة إلصاقها بدين ما تعصب فج لها، مناورة سياسـية أوأيديولوجية. غير أن النظرة السياسية للحركات الدينية تعطى أهمية كبيرة للحركات ذات الدور السياسى في حين إنها تجاهل الحركات الانعزالية

ولكـن النظرة العلميـة والاجتماعية تحكم علينا عـدم الفصل بين جماعة إسـلامية وأخـرى طبقـاً للدور الأسـاسى لكل منهـما فوجود دور سـياسى للجماعة الإسلامية أو غياب هذا الدور لا يعنى اختلافا نوعياً، فالجماعة التى تمارس دوراً سياسـياً وتلك التى تمارس هـذا الدور كلاهما يؤدى حركة دينية لها أسس اجتماعية متشابهة والفرق بينهما يتمثل فى ثلاث جوانب هى:

1- اختلاف في رد الفعل (الاسـتجابة) تجاه الواقع في الانعزالية كنوع من الحرب السلبية إلى المواجهة المباشرة كنوع من الحرب الإيجابية.

2- اختلاف فى مدى توسيع دائرة النقد والمطالبة بالتغيير.

3- اختـلاف فى درجـة السريـة (الإخفـاء) ودرجة العلانيـة والتصريح والملاحظ في الأسباب السابقة يمكن أن يكشف بسهولة مدى إمكانية انتقال جماعة من الانعزالية الكاملة إلى المواجهة الشاملة وذلك يتوقف علي تكوين الجماعة وأفكارها، وعلى الظروف المحيطة بها[1].

ويبقى التساؤل الهام هنا والذى يتعلق بكيفية نشأة الجماعات الإسلامية في المجتمع المصرى، وأى الفترات التى كثرة فيها هذه الجماعات، وما مظاهر تطرفها الدينى؟

(1) محمد أحمد بيومى، مرجع سابق، ص. 469.

إن عملية نشأة الجماعات الإسلامية وتطورها في المجتمع المصرى عملية متشابكة ومعقدة ولا يصلح التحليل المجزأ للإلمام بكافة جوانبها المختلفة، ويزداد الأمر صعوبة إذ ما انسحب الحديث على مجتمع كالمجتمع المصرى ذى طبيعة خاصة ومعقدة في عناصرها ويلعب الدين دوراً أساسياً في تشكيل الحياة والقيم والمفاهيم منذ عهد الفراعنة وحتى اليوم.

وإذا كانت الجماعة الإسلامية قد ظهرت فى الثلاثينيات من القرن العشرين، سواء كانت جماعة الإخوان المسلمين أو جماعة شباب محمد، فإن هذه الجماعات قد ظهرت في إطار من التعددية السياسية كان لهذه الجماعات رأى في القضايا الاجتماعية المطروحة علي الساحة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية والسياسية مثلما كان لكل القوى الاجتماعية حق الرأى في مختلف المسائل الاجتماعية.

ومن ثم فقد أباح المجتمع فيما قبل 1952 مجالاً للتعبير عن رؤيتها ووجهة نظرها وأن لم يأخذ بها وهى قد رضيت - في هذه الحدود- في هذا المجتمع. وأن لم تكن تراه مجتمعها الأمثل، ومن هنا كان فكر الجماعات الإسلامية معتدلاً، من حيث الالتزام من قبل الجماعة بالنهى عن المنكر والأمر بالمعروف في إطار الموعظة الحسنه دونما إصرار على ضرورة أن يلتزم المجتمع بوجهة نظر الجماعة، ومن ثم وجدنا اعتدالاً من قبل الجماعة يتعادل واعتدال المجتمع النسبى مع الجماعة.

غير أنه منذ عام 1948 وحتى عام 1980م مرت محن الجماعة الإسلامية وعاشت ذروة الأزمة في تاريخها حينما القى بجماعة الإخوان المسلمين في

السـجون قبل قتل «النقراشى باشـا» وحتى مقتل «حسن البنا» ثم الأحداث التـى أعقبت عام 1954، ثم عـام 1965، حيث ألقت سـلطة الثورة بجماعة الإخوان المسـلمين في السـجون لوقائع ارتكبوها أحياناً، ودون سبب أحياناً أخرى، وفى قلب السـجون وتحت قوة السـياط وتحجر قلوب البشر نحوها تولـدت لدى جماعـات الإخوان المسـلمين والأجيـال التالية مـن الجماعات الإسلامية مشاعر التطور والعنف والضراوة، ومن ثم فقد خلق العنف عنفاً أعمق وخلقت الضراوة قسـوة مبدعة، وهـذا يتأكد من سرد أفكار التطرف والعنف تاريخياً.

فلقد نشـأت جماعة الإخوان المسلمين في عام 1928 على يد أحد الأنصار هو الشيخ «حسـن البنا» مؤسس الحركة الإسـلامية المعاصرة، ومنذ البداية تميزت هذه الجماعة بفاعليـة كبيرة خلال فترة الثلاثينيات والأربعينيات من القـرن العشرين ومثلما كانت لها إنجازاتهـا الاجتماعية والثقافية في مختلف المجـالات، كانـت لها إنجازاتها السياسـية الهامـة، بميزاتها غير أنهـا أحياناً كانت تسـلك سبيل العنف لفرض رؤيتها في بعض الموقف ومن ثم تجدها قد واجهت أكثر من محنة صدام مع النظام السياسى قبل عام 1952م[1].

ومـن أكثر المحـن التى مرت بها الجماعة هى تلك المحنة التى عاشـتها في عـام 1948، حيث حدث صدام مع الحكومة وبلغ هذا الصدام ذروته بقرار حل الجماعـة وهو القرار الذى أعقبه - بعد عشريـن يوماً - اغتيال الإخوان المسـلمين لرئيس الوزراء «محمد النقراشى باشـا» وهى الحادثة التى أدت إلى تصاعد جملة القمع ضد الإخوان المسلمين اعتقالاً، وسجناً وتعذيباً، وشكلت

(1) رفيق حبيب، مرجع سابق، ص. 15.

هـذه الفترة ذروه محنة كبرى تمـر بها جماعة الإخوان المسـلمين وهى المحنة التى بلغت أقصى ذروة لها باغتيال الشـيخ «حسن البنا» المرشد العام لجماعة الإخوان المسلمين.

وقـد ترك اغتيال المرشـد العـام فراغاً كبـيراً داخل بنـاء الجماعة إذ أدى استشهاده إلى فقد الإخوان رجل الحركة الذى يخطط لهم. وشيخ الفكر الذى يحدد لهم أيديولوجية الجماعة ومنهجها الذى يتطور مع الأحداث ويتواكب معها.

وقد القى بأفراد الجماعـــة في السـجون، وعندما كان شبـــاب الجماعة يعذبون في السـجون والمعتقـلات عام 1949. فظهـرت في فكر بعض هؤلاء الشـباب - ولأول مرة فى تاريخ الإسـلاميين فى مصر افكار تتسائل عن مدى إسلام المجتمع ومدى إسلام الأمة؟

فالحكومة تعذبهم مثلما كان المشركون يعذبون الذين سـبقوا إلى الإسلام، وليـس لهم مـن ذنب وتحـت وطأة المحنة - التى سـببتها قسـوة الدولـة معهم- وأمام سـلبية الأمة تسـاءل نفر من شباب الإخوان: هل المسـلمون هم جماعة المسـلمين؟ أم المسـلمون هـم جماعـة الإخـوان؟ وكان هـذا التسـاؤل يطرح قضيـة التفكير وعودة المجتمـع إلى الجاهلية جـديداً بـل وغريباً على المجتمع بمـصر وعلى الفكر الإسـلامى بها، ومن هنا بـدأ فكر «أبو الأعـلى المودودى» يجـد طريقة إلى صفوف نفر مـن جماعة الإخوان تطبيقـاً لنظرية ملء الفراغ بعـد غياب الشـيخ «حسـن البنـا»[1] فضـلًا عن فكر الشـيخ «سـيد قطب»

(1) Kepel G. Muslim extremism in Egypt, uni - of califorina press, Berkeley and los Angeles 1985,pp53-54.

كعامل فكرى للأحياء الإسلامى في مصر، وقد أتى تأثير المفكر الإسلامى أبو الأعلى المودودى في طرحه رؤية ذات أربعة مستويات مثلت النموذج الذى احتذاه الكثيرون من الجماعات الإسلامية في مصر، وتنحصر هذه الرؤية في أن حاكمية الله ضد حاكميه البشر، وأن الوهية الله في مواجهة الوهيه البشر ثم ربانية الله في مقابل العبودية لغيره من البشر وأخيراً وحدانية الله مقابل الاعتماد علي أى مصدر أخر في تيسير أمور الحياة، ولقد مثلت فكرة الحاكميه لله ببساطتها وحدتها كأداه فاعله في قرب مادون الله خلال حقبة السبعينيات، ومثلت ما يشبه المسلمة الفكرية والحركية بالنسبة لهذه التنظيمات حيث الحاكمية كانت تعنى تكفير الحاكم والمؤسسات المحيطة به وشرعية الانقلاب عليه لا نه يستند إلى حاكميه أخرى غير حاكمية الله وهى حاكمية البشر التى تسمح أحيانا بالديمقراطية وأحياناً أخرى بالاشتراكية او بالعلمانية.

أما «سيد قطب» فتبلور أهم أفكاره في كتاب «معالم في الطريق»[1]. وهو يرى في هذا الكتاب أنه حين تكون الحاكميه العليا في مجتمع لله وحده متمثلة في سيادة الشريعة الإلهية تكون هذه هى الصورة الوحيدة التى يتحرر فيها البشر تحريراً كاملاً وحقيقياً من العبودية للبشر وتكون هذه هى الحضارة الإنسانية، وحيث أن المجتمع الذى يجتمع فيه الناس على أمر يتعلق بإرادتهم الحرة واختيارهم الذى هو المجتمع المتحضر، أما المجتمع الذى يتجمع فيه الناس علي أمر خارج عن إرادتهم الإنسانية فهو المجتمع المتخلف أو بالمصطلح الإسلامى هو المجتمع الجاهلى، وحيث أن المعركة

(1) على ليله، الشباب العربى، تأملات فى ظواهر الاحياء الدينى والعنف دار المعارف القاهرة، الطبعة الثانية، 1993، ص. ص 367 - 369.

وفقاً لهذا المنهج بين المسلمين وخصومهم ليست معركة سياسية ولا معركة اقتصادية ولا معركة عنصرية ولو كانت شيئاً من هذا يسهل وقفها وسهل حل أشكالها ولكنها في صميمها معركة عقيدة أما كفر أو إيمان أما جاهلية أو إسلام ويرى أيضًا أن هدف الإسلام لم يكن في يوم من الأيام هو تحقيق القومية العربية ولا العدالة الاجتماعية ولاسيادة الأخلاق.

ولو كان الأمر كذلك لحققه الله في طرفة عين ولكن الهدف هو إقامة مجتمع الإسلام الذى تطبق فيه أحكام القرآن تطبيقاً حرفياً وأول هذه الأحكام أن يكون الحاكم نفسه لله وليس لا ى بشر أو جماعة من البشر وأن أى حاكم إنسان، بل أى مسئول إنسان ينازع الله سلطته بل أن الشعب نفسه لايملك حكم نفسه لا ن الله هو الذى خلق الشعوب وهو الذى يحكمها بنفسه.

ويرى «سيد قطب» أن الجهاد عن طريق طليعة مؤمنه وجيل قرآنى هو الحل لتخليص المجتمع من حكم الطاغوت. وبوجه عام دعا «سيد قطب» إلى إعلاء قاعدة الألوهية الواحدة أوما سميت في مواضع أخرى بالحاكميه الإلهية بمعنى أن سلطة البشر في الأرض محدودة وليست مطلقه وأن تحكيم شرع الله في الأرض وفرضه، يمثل فريضة دينيه على المسلم ودعا إلى رفض الجاهلية المعاصرة وتكوين طليعة قرآنية تعيد للإسلام مجده[1].

وفى ظل هذا الإطار الفكرى يمكن القول بأنه قد ألقيت في أرض الإسلاميين بمصر وللمرة الأولى بذرة أفكار التكفير والجاهلية، وقد ساعدت ظروف المحنه التى مرت بها الجماعة الإسلامية والفراغ الفكرى على نمو هذه الأفكار داخل الجماعات الإسلامية.

(1) سيد قطب، معالم على الطريق، دار الشروق، بيروت، ط 8، د.ت

وبعد قيام الثورة المصرية عام 1952 أنفتح باب العلاقة بين جماعة الإخوان المسلمين وجماعة الثورة لتقضى إلى المحنه الثانية والأكبر في تاريخ الجماعة، حيث لم تحسن قيادة الجماعة تقدير الظروف التى تحيط بمصر، وبالثورة خلال هذه الفترة التاريخية، ومن ثم فقد أفقدت «الدراسة التاريخية» التى كانت لمرشدها «حسن البنا» في مقابل ذلك كان للضباط الأحرار الذين قادوا الثورة منطلقاً فكرية لم تكن بالضبط هى نفس منطلقات الإخوان المسلمين، ومن ثم كان لهم توجيهات أيديولوجية ليست هى بالضبط التوجيهات الإسلامية للإخوان المسلمين. وفي هذا الإطار كان الغرب والمتغربون هم أحرص الناس على وقوع الصدام بين الثورة والإخوان المسلمين ومن ثم بدأ الخلاف وتصاعد حتى أسلم إلى حل الجماعة في يناير 1954م حينما وقعت محاولة اغتيال قائد الثورة الزعيم «جمال عبد الناصر» في حادثة المنشية بالإسكندرية عام 1954م، وفى قلب السجون والمعتقلات التى زحت بإعداد ضخمه من الإخوان المسلمين بها ولد الفكر الإسلامى الحديث على يد «سيد قطب» فقد دفعت ظروفه الصحية السيئة إلى نقله إلى مستشفى السجن وهناك قام بتدبير الموقف، حيث توصل إلى أن هذا النظام الذى يسمح بتعذيب المسلمين بهذه الطريقة الوحشية على يد أفراد إنعدمت الرحمة من قلوبهم لا يمكن أن يعتبر نظاماً إسلاميا. وفى مقابل ذلك فإن هؤلاء الذين يعذبون في السجون هم المسلمون حقاً ومن هنا بدأ الأساس الفكرى لكتاب معالم في الطريق الذى كان يهدف إلى إنجاز تحليل للمجتمع المعاصر إلى جانب أن يكون المرشد للطليعة التى سوف تكون المسئولة عن أحياء الأمة الإسلامية.

ومن ثم استناداً إلى ذلك نستطيع أن نقول أن كتاب معالم في الطريق للمفكر الإسلامى «سيد قطب» كان يمثل الأساس الأيديولوجى للحركة

الإسلامية خلال عقد السبعينيات وما بعد ذلك. وهنا لا بد أن نضع أيدينا على نـوع من المماثلة بين الواقـع والفكر. فلقد رأى المـودودى في القومية الهندية الخطر الذي سـيقضى على ذاتية الإسـلام والتميز الحضارى للمسلمين ومن ثم فلقـد رأى في هذه القومية وفى ديموقراطيتها عدواناً على الحاكميه الإلهية، فهى إذا شرك يرتد بالمجتمع إلى الجاهلية قياساً علي ذلك رأى «سيد قطب» في القومية الغربيـة التى قادها «جمال عبد الناصر» مدها وفى ديموقراطيتها الموجهة، وفى سلطة الجماهير التى استقطعها المشروع القومى الاجتماعى الناصرى-الخطر- السـاحق على الإسـلاميين المقيدين بالاصفاد، فحكم بعـدوان هذا المشروع بكل مكوناته وجميع توجيهاته على الحاكميه الإلهية وقطع بفكرة وجاهليته.

وهنا يرى أحد الباحثين أن المماثلة التى صاغها «سـيد قطب» عن علاقة الإسـلام بمجتمـع المسـلمين والمـشروع القومى العـربى الذى طرحـه «عبد النـاصر» بالظروف التى وقف ضدها المودودى قـد جانبها الصواب إلى حد كبـير، فأفكار المـودودى عن تكفير الهند وكان تفكـيراً لمجتمع غير جماعة المسـلمين، وهو مجتمع كافر من وجهه نظر الإسـلام فعلاً، أما «سيد قطب» فقد كفر تحت وطأة أزمته - مجتمع المسـلمين ذاتـه، نتيجة لبعض انحرافات النظام في تعامله مع بعض أفراد التنظيمات المتدينة، وقد كان الأولى بالمفكر الإسلامي «سيد قطب» أن يقدم فكراً يعادل به مخراج مجتمع المسلمين فكراً يتعاطف مع مشـاعر القوميـة، خاصة أن ثمة علاقة ينبغى استكشـافها هى علاقة العروبة بالإسلام وهى بالتأكيد علاقة عضوية وقوية[1].

(1) رفعت سيد أحمد، الحركات الإسلامية في مصر و إيران، سينا للنشر، القاهرة، الطبعة الأولى، 1989، ص. 81 - 82.

لكن الأمر الذى لا شك فيه أن الجماعات الإسلامية استطاعت أن تكسب تعاطف الكثير من الشباب، وليس بسبب قوتهم ولكن لحين اعتمادهم على إبراز العامل الدينى و إبراز العامل الدينى و إبراز سلبيات النظام والسعى إلى إقامة حياة فاضلة، فالأفكار المتطرفة التى تدعو لها بعض الجماعات الإسلامية تجد صدى لها بالنسبة للعديد من الشباب الحائر الساخط على النظام والقلق على مستقبله والذى يبحث عن مخرج من كل مشاكله سواء على المستوى الشخصى أوالمجتمعى.

وقد انتشرت الجماعات الإسلامية فى الجامعات وبعض المدارس كما حاولت من قبل قيادات الإخوان المسلمين في مقابل الأحزاب السياسية إلى الدعوة للشباب بالعودة إلى الإسلام الحنيف والتخلى عن ماعداه من أيديولوجيا وضعية.

الجماعة الإسلامية، إذن لقب يطلق أو بمعنى أصح تطلقه على نفسها أى جماعة ترى أنها تتمسك بالدين عقيدة وسلوكاً فى الوقت الذى يعرف فيه غيرهم عنه باسم المدنية والتحضر أو بأى أسم آخر ومن ناحية أخرى يمكن القول بأن ظهور هذه الجماعات الإسلامية داخل الجامعة كتجمع شبابى مثقف فى محاولة لسد الفراغ الهائل الناجم عن انقسام التعليم بالمجتمع المصرى إلى دينى يتمثل فى الأزهر ومعاهده والى علمانى متمثل في الجامعات المصرية، ومن الناحية السياسية خاصة في فترة السبعينيات نجد أن الدولة غالياً ما تشجع على قيام هذه الجماعات كمحاولة منها لتصفية الحركات اليسارية أو الفكر الناصرى بين صفوف الطلاب وكاتجاه عام فى المجتمع المصرى فى تلك الفترة هو التمسك وعلى الأقل الظاهرى بالأحوال الدينية

ولهذا ظهرت مصطلحات دولة (العلم والإيمان)، واختلاف القرية، وقانون العيب ودعم الدعوة الإسلامية وتطبيق الشريعة الإسلامية وغيرها.

وتحت هذا الانطباع خرجت بعض الجماعات الدينية من طورها الكمونى إلى العمل الظاهرى فى الجامعات، وتولت بعض القيادات مساندة هذه الجماعات، وتقدم التبرعات لها والسماح لها بعقد مؤتمرات، وكأى نظام سياسي فإنه بعد تصفية الجناح اليسارى فى الجامعات، فإن النظام وأجهزته تحاول تصفية تلك الجماعات من حيث البناء والوظيفة وتساعد وسائل الإعلام المكتوبة والمرئية على وصف هذه الجماعات مثل (القلة الحاقدة)، (القلة العملية) والمتاجرون باسم الدين، والمتطرفون وراء الدين وغيرها[1].

و يذكر عديد من الباحثين في هذا الصدد أن نشأة الجماعات الإسلامية ترجع أيضاً إلى العديد من العوامل الطاردة لها من الجميع، إذ أنها تعانى من عدم وجود مكان لها في المجتمع، وبالتالى من رفض الواقع لها وابتعادها عن الجميع، أوابتعاد المجتمع عنها فمثلاً يذكر نعمة الله جنينه أن جماعة تنظيم الجهاد فى مصر يرى أن الأزهر كمؤسسة دينيه لا يقوم بدور تجديدى أو تغييرى وهو ما يعنى أن الجماعات الإسلامية عندما تنعزل عن المجتمع، تحاول فى البداية البحث عن مكانتها فى مختلف جوانب المجتمع، لهذا تظهر أهمية موقف المؤسسة الدينية فكان من الممكن أن تنعزل الجماعات الإسلامية عن المجتمع العام ولكن تجد طريقها من داخل المؤسسة الدينية ولكن ما حدث أنها لم تجد مكانتها فى المؤسسة الدينية[2].

(1) على ليله، مرجع سابق، ص. 372.

(2) محمد أحمد بيومى، مرجع سابق، ص. ص 475 - 476.

ويتفق هذا مع ما ذهب إليه الباحثان «إسماعيل و إسماعيل» إن من أسباب انتشار الجماعات الإسلامية عدم رضاها ورفضها للسياسات الناصرية والساداتيه مما يوضح رفض الجماعات وعدم اقتناعها بالدور السياسى والدينى لمؤسسات المجتمع وينتج هذا الرفض من عدم وجود مكان لهذه الجماعات داخل مؤسسات المجتمع، فرفض الجماعات الإسلامية للناصرية الساداتيه لا يعنى فقط وجود اختلاف أيديولوجى بينهما وبين هذه السياسات ولكنه يعنى فشل هذه الجماعات في اكتشاف ذاتها من خلال هذا الفكر، فالفكر السياسى المطروح على الساحة لا يجذبها ولا يحقق لها الإشباع والرضا، ولا يحقق لها المكانة والدور والفعالية ولهذا تبحث عن بدائل أخرى، متجه إلى المؤسسة الدينية فلا تجد ما يجذبها ويحقق لها المكانة والرضا فتلجأ إلى الانعزال عن المجتمع، ويمكننا أن نتصور أن ما حدث بعد هزيمة يونيو 1967 فقبل الهزيمة كان كثير من الشباب متعلقين «بجمال عبد الناصر» ويرون فيه الزعيم والقائد، أى أنهم كانوا يجدون أنفسهم داخل المجتمع وربما داخل الصورة الكارزماتية للزعيم فكانت زعامته وأحلامه السياسية البراقة عاملاً لجذب الشباب وتحقيق الإشباع والرضا، ولكن بعد الهزيمة تغير الواقع وتغير بريق الزعامة، وأختلط بريق القوه بالهزيمة، فكان للهزيمة دور فعال في تحطيم صورة الزعامة الناصرية، فبدأ الشباب ينعزل عن زعامة «عبد الناصر» وبدأ البحث عن بديل آخر، وفى هذا المناخ كانت الجماعات الإسلامية أحد البدائل المهمة التى جذبت الشباب.

وفى هذا السياق يقدم «سعد الدين إبراهيم» نموذجاً للشاب «طلال» فبعد النكسة أصابه حزن شديد واعتزل فى غرفته أياماً ولكن بناءً على نصيحة

والدته، خرج من عزلته ليقرأ القرآن، وادهش لاحساسة بالسلام والسكينة، فكانت هذه هى المرة الأولى التى يكتشف فيها هذا التأثير لقراءة القرآن، ومن هنا بدأ طريقاً جديداً ينتهى به داخل الجماعات الإسلامية[1].

وهذا ما يوضح أن نشأة الجماعات الإسلامية تبدأ بمشكلة فى الواقع (الهزيمة) تؤدى إلى الانعزال النفسى عن هذا الواقع، ومن داخل هذا الانعزال تتكون مشاعر التوتر والقلق ن كما تتكون رغبات انفعاليه غير مشبعه، و يصبح في أمس الحاجة لبديل أخر و يظهر دور الدين كحل للمشكلات الانفعالية وتحقيق الإسلام والإشباع الانفعالى من خلال الجانب الروحى للدين، و يبدأ الإنسان في اكتشاف طريقة جديدة، حيث البديل الدينى فعن طريقه يحل مشكلته الانفعالية الراهنة، ومن ثم ينجرف في هذا المجال لكى يستطيع حل مشكلاته المجتمعية الأخرى.

وتتضح بداية الجماعات الإسلامية في بحثها عن المجتمع البديل، ليس فقط بالمعنى الفكرى ولكن أيضاً بالمعنى الواقعى، فبعد انعزال هذه الجماعات من المجتمع واختبارها لبديل دينى، تبدأ في البحث عن مكان توجد فيه، لهذا قد تتجمع في الصحراء أوتتجمع داخل الأحياء الشعبية أو داخل الجامعة، الجماعات الإسلامية توجد - جغرافياً - في أماكن بعينها، هذه الأماكن تمثل الأساس المعنى والمعانى للمجتمع المنشود، فهى تحدد مكاناً معيناً تعيش فيه فى مجتمعنا الخاص، وتحاول جعل هذا المكان وكأنه دولتها وعالمها الخاص، فيتحول المجتمع البديل من مجرد فكرة إلى وجود واقعى أو داخل المجتمع

(1) نعمة الله، جنينة، تنظيم الجهاد، هل هو البديل الإسلامى فى مصر، دار الحرية للنشر والتوزيع، القاهرة، 1988.

البديل النموذج تحاول الجماعة فرض تصورها عن المجتمع الجديد. لهذا كان اختيارها للجامعات، وفى داخلها استطاعت الجماعات الإسلامية فرض شروطها ونظامها وقواعدها على طلبه الجامعة، فاستطاعت.

أولا: تحديد مكانها الجغرافى، ثم شرعت في إقامة مجتمعها الخاص النموذج، وفى نهاية عام 1988م كشفت الأحداث عن وجود مجتمع خاص فى منطقة عين شمس، حيث الجماعات الإسلامية وعلى رأسها جماعة تنظيم الجهاد أقامه نموذج متكامل لتصورها عن المجتمع المنشود ففرضت على سكان المنطقة قوانينها ووصل الأمر إلى تنفيذها العقاب على من يخرج عن قواعدها، فتحقق لها ليس مجتمع نموذج ومجتمع تجربة فقط بل أيضًا تحسن واقعى لأحلامها، فكان لها المجتمع الذى يمثل فيه ولى الأمر، وصاحب السلطة.

وهكذا استطاعت الجماعات الإسلامية، تكوين مجتمعات صغيرة تفرض فيها بعضاً من سيطرتها، كنماذج لما تريد تحقيقه وذلك فى الجامعات، أوبعض الأحياء الشعبية أو المساجد الأهلية باعتبارها نماذج مصغرة للمجتمع البديل، مجتمع الحاكميه الإلهية أومجتمع ملكوت الله، كما تلجأ الجامعات الإسلامية إلى تمييز نفسها عن المجتمع، ويعد المظهر إحدى الوسائل التى تميز الجماعة عن المجتمع، فاللجماعة أسلوبها الخاص في الحديث، وموضوعها الخاص فى الحوار والتفكير، والشكل المميز في اللبس والجلباب الأبيض القصير.

وبهذا يتبين أنه من منطلق الانعزال عن الجميع والتميز عنه يظهر مفهوم التميز الدينى، فالجماعة الإسلامية تعرف نفسها كحزب الله، والمجتمع كحزب الشيطان، لهذا فالجماعة دار إسلام والمجتمع دار حرب،

ويقوى التميز الدينى في انعزال الجماعة عن المجتمع. والجماعة لا ترى في انعزالها عن المجتمع أى خطأ من جانبها فهى تمثل جماعة المؤمنين، وتمثل حزب الله، ويصبح الانعزال عن المجتمع حتمية تفرض مفاهيمها الدينية بما يبرر انعزال الجماعة عن المجتمع.

ومن خلال هذا الإطار العام، أصبحت الجماعات الإسلامية تتميز ليس فقط بكونها مجتمعاً خاصاً منعزلاً، ولكن بعقلها الخاص المنعزل وعندما تحاول هذه الجماعات التفاعل مع المجتمع سواء بمهاجمته أومحاولة فرض آرائها، تلجأ للجزئيات وللماديات المحسوسة، فعقل هذه الجماعات، عقل مثالى يعتمد على التخيل أكثر من المعايشة، ويعتمد على الافتراض أكثر من التنفيذ، فانعزل عقل الجماعة وفكرها عن مجرى الحياة.

لذا فالجماعة الإسلامية فى تفاعلها مع المجتمع، تركز على الجزئيات فهى الرابطة التى تربطها بالواقع، وتعفيها من الدخول فى حوار فكرى عميق، لهذا تلجأ الجماعات الإسلامية كما يرى «محمد عمارة» إلى المناداة بالتطبيق الفورى لجزئيات الشريعة الإسلامية بدلاً من التطبيق المتدرج للعموميات، مما يعنى تفاعل الجماعة مع المجتمع، من خلال العناصر المحددة، فهى تريد تنفيذ الحدود ولكنها لا تنادى بنفس القدر، بتنفيذ الفكر العام الإسلامى وهو ما يؤكد وجود انعزال فكرى، بين الجماعات الإسلامية والمجتمع ويؤكد هذا أيضاً وجود تعارض داخل فكر الجماعات الإسلامية نفسها، فهى فى أفكارها العامة شديدة المثالية والتجريد بقدر يبعدها تماماً عن الواقع وفى مطالبتها الاجتماعية والسياسية، تركز على الجزئيات، تركيزاً شديداً يفقد هذه الجزئيات معناها.

فمثلاً تركز الجماعات الإسلامية على ارتداء الحجاب أكثر من تركيزها على المعـانى والمفاهيم التـى يعنيها ارتداء الحجاب، مما يدل على وجود انقسـام وتعارض داخل فكر الجماعة الإسـلامية فهى تتبـنى أفكاراً مجردة وتحاول تنفيذ أشـياء شـديدة العيانيه، وفى انتقالهـا بين التجريـد والعيانيه تحاول ربط وجودهـا، فأفكارها العامـة تفصلها عن واقعيـة التنفيذ، لهذا تتردد الجماعات الإسلامية بين أفكار شـديدة المثالية، وأفكار شـديدة العيانية.

وهذا ما يؤكد أن البناء الفكرى للجماعات الإسلامية بناء متصدع من الداخل لا ن فكر الجماعات الإسلامية نابع من الأزمة وفكرة الازمه كثيراً ما يكون رد فعل تمردى على الواقع اكثر من كونه محاولة لتصحيح و إصلاح الواقع، فشـدة الأزمة تفقد الجماعات الإسلامية فرصة التفكير والدراسة و إمكانية التفاعل الواقعى مع الظروف المحيطة بها، وتظهر بين الجماعات الإسـلامية خلافـات وجـدل فهـى لا تسـتطيع تحديـد طريقهـا لتحقيق أحلامها، فتخرج من داخل الجماعة المشـكلات التـى تهدف بانهيارها أو تهديد بازدياد حيلها إلى اسـتخدام العنف مع المجتمع خاصة وأنه لا يمكن للجماعة الإسلامية الاستمرار في عملية الانعزال، لهذا يصبح أمام الجماعة الاختيار بـين عدد محدد من البدائل فقد تحاول إنقـاذ وجودها عن طريق التمادى في استخدام العنف تجاه المجتمع، وقد تنشغل بمشكلاتها الداخلية فتنعزل تماماً عن المجتمع مما يفقدها حماسـها ودافعيتها فتنتهى وقد تنشغل بصراع بين الجماعات الإسلامية نفسها، وتكون قد خلقت مجتمعاً خاصاً، وجعلـت منه مجتمعاً بديلاً كاملاً عن الواقـع، وتعيش الصراعات بداخله

وتلجأ إلى التطرف والعنف تجاه المجتمع. أكثر من البناء والإصلاح[1] لكن السؤال الذى يطرح نفسه الآن ما هى الإنجازات والسلبيات لهذه الجماعات الإسلامية؟ ولتوضيح ذلك نشير إليهما بإيجاز شديد على النحو التالى:

أ- أهم إنجازات الجماعات الإسلامية:

فى الواقع قامت الجماعات الإسلامية بالعمل داخل الجامعات من خلال عقد ندوات وطرح بعض القضايا الإسلامية وكل ما يتعلق بشئون المجتمع المصرى بشكل تثقيفى وحوارى في بداية نشاطها، وكذلك ظهرت حلقات تحفيظ القرآن الكريم وتجويد وتفسيره من الجنسين، وكذلك انتشار الزى الإسلامى والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والنصح بالاتجاه إلى الطريق الإسلامى والحرص على الصلاة الجامعية كمظهر من استعراض القوى العددية بالجامعات.

ومن الناحية التنظيمية فقد أقيمت المعسكرات الإسلامية (أقيم أول معسكر إسلامى في الجامعة عام 1937) والترشيح لتولى قيادات الاتحادات الطلابية ونشر وطبع الكتب الإسلامية و إقامة المعارض اللازمة لها، وجمع التبرعات المالية وتوزيعها على المحتاجين إما لشراء الكتب الدراسية أوالزى الإسلامى أوتوفير أتوبيسات للطالبات أوللسفر في رحلات للحج والعمرة بل وقامت الجامعات الإسلامية في كليات الطب بتصوير

(1) سعد الدين إبراهيم، النظام الاجتماعي العربي، مركز الدراسات والبحوث العربية، بيروت، 1982، ص 40.

القواميس والكتب الطبية الغالية الثمن وبيعها للطلاب المحتاجين والفقراء بسعر التكلفة[1].

ب- أهم السلبيات للجماعات الإسلامية:

إن الجماعات الإسلامية رغم ادعائها الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والتصدى لكل أفكار متطرفة ومنحرفة إلا أن الأحداث أثبتت عكس ذلك، فلقد نصبت الجماعات الإسلامية من نفسها محتسباً على سلوك الطلبة والطالبات خاصة فيما يتعلق بالملبس والاختلاط وأداء الفرائض بل الأكثر من هذا، مارست الجماعات ضغطاً على العملية التعليمية كتعطيل المحاضرات أثناء أوقات الصلاة بل وحدثت بعض المضايقات منهم لبعض هيئات التدريس أيضاً فإن الاحتكار بين هذه الجماعات وبعض الطلاب المسيحيين قد أدت إلى تصوير هذه الجماعات كجماعات مناهضة للوحدة الوطنية وتماسك النسيج الاجتماعى ونظراً لتعدد مواقف هذه الجماعات وآرائها المتطرفة فقد فصلت الجامعة بعض الطلاب لقيامهم بأعمال تمس العملية التعليمية ونشرهم أراء هدامة تحرض على عصيان ولى الأمر والأزواج وبنجاح أجهزة الدولة ووسائل الإعلام في التصدى لهذه الجماعات وتقديم صورة عنها للرأى العام فأنها فقدت الكثير من أعضائها وجاءت الأحداث الأخيرة قبل وبعد مقتل «السادات» عام 1981م باختفاء الكثير من أعضائها وتخليهم الظاهرى عن أنشطتهم داخل

(1) انظر التحليل الرائع لنشأة الجماعات الإسلامية وجنوحها الى الصراع والتطرف في، رفيق حبيب، الاحتجاج الدينى والصراع الطبقى فى مصر، مرجع سابق، ص.ص 161 - 170.

وخارج الجامعة ودخلت هذه الجماعـة مرة أخرى دون الكمون للإعداد لمرحلة مقبلة.

ثالثاً: أسباب التطرف الدينى وبواعثه فى المجتمع المصرى

اختلفت المنظورات الفكرية والتفسيرات الاجتماعية في تحديد العوامل المؤديـة إلى التطرف الديني في المجتمع المصرى[1]، فلقد حاول أحد الباحثين أن يحـدد العوامـل التـى أدت إلى تنامى الجماعـات الدينيـة المتطرفة فى عدة عوامل فيما يلي:

1- وجـود قوى خارجيـة مؤثرة بشـكل مبـاشراً وغير مبـاشر في حركة المجتمع المصرى وفي الوقت نفسـه مدعمـه للتطرف الديني ومتحالفة معه بشكل ظاهر أو مستقر.

2- تشـجيع رسـمى من جانب الدولـة للتيـارات الدينية في السـبعينيات لمواجهـة التيار اليسـارى والنـاصرى من ناحيـة والقوى السياسـية لمناقضة الأهداف مع الدولة من ناحية أخرى.

3- وجـود قوى أو جماعات اقتصادية اجتماعية محلية تدعم التنظيمات المتطرفـة وتمويلها والسـيطرة على الاقتصاد المـصرى هدف رئيسى يتـم تحقيقه مـن خـلال مؤسسـات مالية تقـف وراء تمويـل هذه الجماعات.

(1) مصطفى فرغلى، رأى في الجماعات الإسلامية، مجلة الدعوة، العدد (38) القاهرة 1979 ص. 46 وما بعدها.

4- وجود أهداف سياسية وراء الأهداف الدينية المعلقة من قبل التنظيمات المتطرفة ولجؤوها إلى العنف لتحقيقها.

5- تردى الأحوال الاقتصادية والثقافية ومعاناة الجماهير.

6- استشراء القيم الفاسدة في المجتمع المصرى خلال حقبة الانفتاح الاقتصادى .

7- الافتقار إلى مشروع قومى أو هدف عام يمثل أملاً حقيقياً في مستقبل أفضل للناس.

8- وجود صدى للدعوات المتطرفة لدى الشباب من الطبقات الدنيا والوسطى والذين تقوم القيادات بالتجنيد منهم نظراً إلى تزايد حدة المعاناة والإحباط واليأس من جراء الانفتاح الاستهلاكى البذخي والفساد وحدة التفاوت الاجتماعى.

9- نظام التعليم ووسائل الإعلام والتنظيم السياسى وهى كلها مشجعة على انتشار التطرف العقلى العام، الأمر الذى ينبثق منه التطرف الدينى، فهى لا تربى أو تدرب الناس على أعمال العقل والنقد والابتكار بل على التقبل السلبى غير الناقد لأى فكر ظالماً كان مصدرة سلطة ما.

10- شجع الطرح الإعلامى لموضوع التطرف الدينى على التعاطف معه، إذ أنه كان طرحاً دينياً رسمياً مقابل الطرح المتطرف الذى يبدو شعبياً[1].

(1) Saad Eldin , E ., anatomy of Egypt Mititant Islamic groups: international journal of Middle East studies , in 12N.4 , 1980.

فضلاً عن العوامل السابقة التى أدت إلى التطرف الدينى في المجتمع المصرى اختلفت المنظورات الفكرية لتفسير التطرف الدينى فى مصر فلقد رأى أنصار الاتجاه العلمانى والذى ينضوى تحت لوائه التيار الماركس، وأصحاب الفكر القومى، الفكر الليبرالى، أن الجماعات الإسلامية جاءت نتيجة للأزمات الاقتصادية والدينية والتشريعية، وفى تشخيص - أحد الباحثين الليبراليين- للعوامل المؤدية إلى ظاهرة الجماعات الإسلامية فيقول "أنه داخل سجون وزنازين الدكتاتورية الناصرية نشأة جماعات الإرهاب الدينى بعد تعرضها لصنوف التعذيب والانتهاكات الفجة لآدمية الإنسان، فضلاً عن وجود ثلاثة عوامل أخرى أدت إلى تنافى هذا التيار المتطرف وهذه العوامل هى «الفجوة بين الأمل والواقع» الذى لازم شباب السبعينيات من الاتجاه الإسلامى، والغياب الكامل للعدالة التوزيعية والحرمان النسبى الذى أصاب القطاعات الدينية من الشعب المصرى.

بينما يرى الاتجاه الإسلامى الأصولى أن ما يسمى بحركة الأحياء الإسلامى أوالصحوة الإسلامية حاليا ما هو إلا حلقة من التطور الطبيعى للتاريخ (أى لصراع الحق والباطل) وأن الحوادث التاريخية صغيرها وكبيرها فهى تتم بقدر الله وحكمته وبالتالى فأن المسلم عندما يتعامل مع التاريخ فهو لا يتعامل معه بمنطق التعامل المجرد مع قوانين صماء و إنما يتعامل بمنطق الاتصال بالسماء والإيمان بالغيب وهذا هو سبب انتصار الإسلام وخلوده أبداً[1].

(1) سمير نعيم أحمد، المحددات الاقتصادية والاجتماعية للتطرف الدينى، مرجع سابق، ص. 237 - 238.

وبرغم أهمية هذه التفسيرات التى حاولت توضيح العوامل التى غذت التيار التطرفى فى مصر إلا أن هناك مجموعة من الظروف والعوامل التى عجلت من تطور هذا التيار المتطرف وكان من أهمها ما يلى:

1- يتمثل العامل الأول في سياسة الانفتاح الاقتصادى وما صاحبها من تغيرات بنائية وتوجهات استهلاكية أتخمت أسواق المجتمع المصرى بسلع استهلاكية أثارت نزوات الاستهلاك وغرائزه لدى أفراد المجتمع وبدأت السلع مرتبطة بمناخ الحرمان الذى عاشته جماهير الشارع المسلم، تهدد بتآكل قيم التقشف والبساطة والجماعية ذات الأساس الدينى عند الجماهير، وأيضا بانتشار قيم الفساد والإباحية، بحيث يمكن القول أن هذه التوجهات الاستهلاكية أثرت كثيراً على الحس المسلم وأثارته، ودفعته إلى تساؤلات كثيرة من بينها هل يمكن أن يحدث هذا الابتذال في مجتمع الإسلام، وهل يمكن أن يتعايش هذا الترف مع الحرمان الذى يعانيه بعض المسلمين فى الداخل، أوالظروف القاسية التى يعيش فى ظلها المجاهدون في الخارج؟ ومن المنطقى أن تثير الإجابات على هذه الأسئلة حفيظة الشباب المسلم لأنها تضرب لدية على أوتار الطهارة والنقاء عن جوهر الإسلام[1].

وعلى هذا فقد مثل الانتماء إلى الجماعات الدينية المتطرفة مخرجاً مغرياً وأملاً كاذباً في الخلاص من هذا الوضع فهو يقدم بديلاً وهمياً للمجتمع الذى يعيشه الشباب و يعايشونه، وهو أكثر الحلول اتفاقاً مع لدى هؤلاء الشباب من قيم تحول دون انحرافهم في المجتمع بشكل عام.

(1) رفعت سيد أحمد، الحركات الإسلامية فى مصر و إيران، مرجع سابق، ص. ص90 - 93.

2-- انكسار كافة مشاريع التنمية ومشاريع الوحدة العربية والمد القومي وزيادة التفكك بين الأقطار العربية محل مفهوم الوحدة والتكامل فضلاً عن الآثار التى خلفتها هزيمة يونيو 1967م على الشباب من الناحية النفسية والاجتماعية، وفشل مشروعات التنمية المستقلة في عهد الرئيس «السادات» بل جعلت الاقتصاد المصرى يسير فى إطار التبعية للسوق الرأسمالية وتدعيمها واستمراريتها وجعل مفاتيح الاقتصاد المصرى بأسره في أيدى هذه القوة الرأسمالية.

ويرى أحد الباحثين بأن التطرف هو نتاج لمجمل الظروف الاقتصادية والاجتماعية التى خلقتها سياسة الانفتاح الاقتصادى، وهو جزء من مخطط إمبريالى صهيونى تسانده قوى إقليمية ومحلية يهدف إلى ضرب التماسك الاجتماعى، وتفسيخ المجتمع من جهة، والى تكريس تخلفه تدعيماً لتبعيته من جهة أخرى[1].

3- ويتمثل العامل الثالث في أسلوب القوة التى عوملت بها الجماعات الإسلامية والحاملة للنشاط الدينى خلال العقود المختلفة ابتداء من عقد الأربعينيات وحتى عقد الثمانينات. ولقد لعب كل عقد من هذه العقود دوره في تقليم أظافر الجماعات الدينية، فخلال عقد الأربعينيات وجهة الضربة الأولى لهذه الجماعة عن طريق اغتيال قيادتها الملهمة، تمثل ذلك فى اغتيال مرشد الجماعة ومؤسسها الشيخ «حسن البنا» حيث ترك رحيله فراغاً لا يسده غيره، وفى حقبة الخمسينيات حدث صدام مع ثورة يوليو فى عام 1954م إثر محاولة

(1) على ليله، مرجع سابق، ص. 284.

اغتيـال «جمال عبد النـاصر»، مما جعل الحكومة تـزج بأفراد جماعة الإخوان داخل السـجون والمعتقـلات، ومن ثم واجهـوا تعذيباً مؤلماً جعلهم يمتلئون بمشـاعر الانتقام على الصفوة العلمانية الحاكمة وأيضاً على المجتمع الذى لم يسير عليها، وشهدت الستينيات استمرار لتصفية حلول جماعة الإخوان، فبعضهم بقى في السـجون، والمعتقلات، بينما هاجـر البعض الأخر إلى مجتمعـات الخليج هارباً بمـا لدية من أفكار ومبادئ ثم جاءت فترة السبعينيات ليحاول النظام السياسى الاستعانة بالجماعـة الإسـلامية في قرب قوة اليسـار والناصرية ومـن ثم حولها النظام السياسى إلى أداة في يده لضرب الخصوم وابتلاعهم كلما افترقت مصالـح الجماعات عـن مصالح النظام السـياسى إذ لم يكتف بضربها بقسـوة، بـل زاد عليها بأنـه حاول السـخرية من رموزهـا والنيل من مفاهيم ذات قداسة بالنسبة لمعتقداتها. فلقد دأب الرئيس «السادات» خـلال هذه الفترة على مهاجمة السـلوك الدينى للجماعات الإسـلامية في خطته العامة كمهاجمة الحجاب الإسـلامى باعتباره خيمة تلبسـها الفتاه ولايبيحها الإسـلام ومهاجمة الشـيخ «المحـلاوى» الذى هاجم «السـادات وأسرتـه» في إحدى خطبـة بمدينة الإسـكندرية باعتباره كلبـاً ملقى به فى السـجن الآن ومهاجمة أعضاء الجماعات الإسـلامية باعتبارهم من الارازل.

4- كـما لعبت الظـروف الخاصة بضعـف النظام السـياسى خلال حقبة السبعينيات دوراً أساسياً فى دعم الجماعات الإسلامية وتقوية مكانتها واذا كان النظـام السـياسى فى المراحل الأولى من الـصراع بين القوى الدينية المتباينة قد أمتلك السيطرة على هذه القوى وعلى مستوى الصراع

ذاته، فأنه فى المراحل المتأخرة من الصراع فقد النظام السياسى السيطرة على تطور الصراع واتجاهاته، وقد أدى ذلك إلى وقوع نتيجتين الأولى وضوح وتحديد بناء الجماعة الإسلامية واكتشافها لذاتها وتحديدها الدقيق لمطالبها، هذا إلى جوانب تحدد طبيعة علاقتها بالقوى الدينية الأخرى، إضافة إلى ذلك بدأت الجماعات الإسلامية تدخل مرحلة التجريب الثورى مع النظام السياسى، تدير الصراع ضده، تضربه ثم تتلقى ضربات، وأثناء ذلك تدعم بنيتها، ولقد توحت هذه المرحلة باعتبار قمة النظام السياسى ذاته.

وكان من الطبيعى أن تفرز هذه الظروف عدداً كبيراً من الجماعات الإسلامية تشترك غالبيتها فى العمل وفقاً لعواطف أو مشاعر متطرفة[1].

5- وفضلاً عن العوامل والظروف السابقة فقد ساهمت مجموعة أخرى من العوامل الخاصة بمكونات القيم الثقافية السائدة وشخصية المتطرف ذاته ومن هذه العوامل:

أ- الفهم الخاطئ للدين ومبادئة وأحكامه والظروف التى تهيء له.

ب- الإحباط الذى يلقاه الشباب نتيجة افتقادهم المثل التى آمنوا بها في سلوك المجتمع اوسياسة الحكم.

جـ- الخطأ فى إدارك حقيقة المثل العليا وطبيعة المجتمعات الإنسانية وأسلوب الإصلاح.

(1) سمير نعيم أحمد، مرجع سابق، ص 222.

د - شيوع القهر والقمع سواء على مستوى الاسرة اوعلى المدرسة اوالمجتمع اوالدولة، ويكون رد الفعل صورة تمرد عنيف من جانب الشباب إزاء السلوك الذى يمارس العنف، واحيانا يكون القمع ذاته نسبياً لإثارة التطرف والعنف وليس علاجاً له.

هـ- غياب الحوار المفتوح من قبل رجال الفكر الدينى لكل الأفكار المتطرفة، ومحاورة بعض الجوانب التى تؤدى إلى التطرف في الرأى خاصة ما يتعلق بالأمانة والاجتهاد والعلاقة بين الناس والسياسة وأسلوب الدعوة.

رابعاً: المظاهر الفكرية والسلوكية للتطرف الدينى

باعتبار أن التطرف كما يرى أحد الباحثين- يقاس بدرجة الراديكالية فيما يطرحه من تغييرات يحاول تطبيقها على المجتمع، لكن العنف وسيله وليست غاية، بالتالى يمكن الفصل بين الوسائل والغايات، فقد تطرح الجماعة الإسلامية أفكاراً راديكالية فى محاولتها لتغيير المجتمع دون أن تلجأ إلى العنف، وقد تلجأ جماعة إلى العنف دون أن تطرح تصوراً جذرياً أو رايكالياً لتغيير المجتمع، وبهذا التصور نجد أن الجماعات الإسلامية هى جماعات ثورية وليست بالضرورة جماعات عنف، وتحاول فرضها عليه والتأثير عليها، وفى محاولتها لفرض آرائها والتأثير على المجتمع، قد تلجأ إلى العنف أولاً تلجأ الية لهذا فهى جماعات ثورية تمثل الثورة بالنسبة لها احتمالاً تبحث عنه وتجرى وراءه ولكنه ليس - دائماً احتمالاً منفذاً وليس - دائماً احتمالاً ممكنا فهى جماعات تحاول إحداث الثورة ولكنها تختلف فيما بينها

فى درجـة تنفيذها لهذه المحاولات، فالعنف وسـيلة وقد يكون ضرورة بمعنى أنه نتاج عن الاتجاه الثـورى للجماعات الدينية وبمعنى أخر ينتج العنف من الفجوة بين ما تريد تحقيقه الجماعة وواقع المجتمع الفعلى، فهناك أذن ارتباط بـين العنف والثورة، فقد يكون العنف هو الوسـيله لتحقيـق الثورة، ولكن بعض الجماعات الدينية قد تلجأ لهذا الأسـلوب، وتلجأ لأساليب أخرى أوقد تظل جماعات ثورية دون أن تجد طريقها لتحقيق ثورتها.

ويبقى العنف كوسـيلة تلجأ إليها الجماعات الإسـلامية وتحاول تحقيق أهدافهـا، وعندما تجـد الدافع الكافى للإقدام على هـذه المغامرة، وفى الوقت ذاتـه يمثل العنف عاملاً مهماً في اسـتمرار وجود الجماعـات الدينية، فعندما تنعـزل هـذه الجماعات عـن المجتمع وتحـاول تغيـيره تغييراً تامـاً تعيش فى حلـم، ولكنها لا تسـتطيع العيش فى هذا الحلم لفـترة طويلة، دون أن تكون هناك علامـات تؤكد احتمالية تحقيق هذا الحلم من هنا تأتى فورات العنف، فالجماعات الإسـلامية تمر بفترات صمت، ثم فترات عنف ثم فترات صمت وكمون من جديـد، فالمراحل التى تلجأ فيها تأكيـد قابلية حلمها للتحقيق، ووجود ما يبرر اسـتمرارها كجماعة منفصلة عـن المجتمع، ويصبح اللجوء إلى العنف عاملاً مهماً في إحياء الدوافع الذاتية للجماعة، وتعد أعمال العنف ومحاولة اظهار القوة أساسـاً يجعل للجماعة دافعاً ذاتياً فعندما تلجـأ الجماعة إلى العنـــف، تثبـت لنفسـها أنها قادرة عـلى مواجهـة المجتمـع وقادرة على الاستمرار نحو تحقيق أهدافها[1].

ويأخـذ التطرف الديـنى مظاهر متعـددة تبدأ من الخروج عن مسـلك

(1) على ليله، مرجع سابق، ص .ص. 384 - 385.

السلف في فهم الدين والعمل به، والتطرف في الفكر صوره للتطرف في العمل وكلاهما تزيد فى الدين واتهام له بالتقصير وكأن الرسول ﷺ قد بلغ منقصوا» ويجيء هؤلاء المتطرفون سيكملوها ويتمموها.

ولعل أهم مظاهر التطرف الدينى هو التطرف المظهرى عندما تلمح سيدة أوأنسه تغطى وجهها بما يشبه العباءة ولا يترك من نقابها إلا فتحتين صغيرتين كفم العصفورة أمام عينيها، من أين جاءت بهذا الزى العجيب كذلك فأن المتطرفين يهاجمون الحضارة الإنسانية ويدعون لمقاطعتها، ويقفون في تناقض عجيب وغريب فهم يتحدثون في التليفزيون ويستضيئون الكهرباء ويركبون الطائرات في سفرهم، -الخ ويطالبون بأن نقاطع الحضارة في أبسط مظاهرها، كما يطالبون بارتداء الجلباب وترك القميص والبنطلون ورباط العنق بحيث يتوجه الطبيب أوالمهندس إلى عمله وهو لابساً الجلباب والشبشب في قدميه. وهنا يصف - سعد الدين إبراهيم- نماذج من التطرف المظهرى والذى أكتسب الشكل الدينى على النحو التالى:

فثمة صور أخرى تفاجئ زائر القاهرة في العقد الأخير من القرن العشرين وهى منظر النساء المحجبات، وشبه المحجبات فى الشوارع وفى الأماكن العامة هناك نجد العشرات من الطالبات الجامعات في طريقهم إلى كلية الطب الشيء الغريب عن هؤلاء الطالبات هو أن عدد غير قليل منهن محجبات ويتناول الكاتب عن إذا ما كان ظهور الحجاب مرة أخرى بين النساء والمتعلمات من ردة لاضطهاد المرأة العربية وعودة مرة أخرى إلى مركزها المتدنى، فلقد أختفى الحجاب منذ حركة « هدى شعراوي» وسعت

المـرأة بعد ذلـك بالحصول على حقوقهـا الاجتماعية والسياسـية وكان لها ما أرادت فلماذا إذن عاد الحجاب إلى الظهور؟

ولمـاذا بالـذات بـين مجموعـة تمثل أكـثر القطاعـات تعليماً أعـنى قطاع الطالبـات الجامعيات فى المدن؟ وماذا يعنى هذا بالنسـبة لقضية حقوق المرأة وهل يمثل هذا نسـكه إلى الـوراء؟ وأين موقع هذه الظاهرة بالنسـبة للنظام الاجتماعـى الناشـئ الجديد فى الوطن العربى، فى الواقـع أن الدافع الذى دفع هذه الطالبة للحجاب كما يذهب «سـعد الدين إبراهيم» هو سـلوك بعض بنـات القاهره ومهرجان الأزياء الباهظة التكاليف الذى يلبسـهن وتحديهن للقيـم الأصيلـة والمبادئ الإسـلامية، فقـرار الحجاب هو من أجـل الابتعاد عـن هذه المظاهـر وعن الجماعة المنحرفة وتدريجيـاً انخرطت هذه الفتاه فى الجماعات الدينية وتابعت الأحداث السياسـية داخل الجامعة والمشـاركة فى أنشـطة هذه الجماعـات فإن مثال هذه الطالبة التـى قررت التحجب بمحض ارادتها» لغزاً مبهماً «أمام المراقبين الخارجيين فهؤلاء الفتيات لسـنا سـيدات فى طريق العمرة ولاهن فى متوسـط العمر ولا منتميات إلى الأجيال التقليدية بل هن شـابات قطعن شـوطاً كبيراً في قضاء التعليـم، كذلك تحجبن باراتهن الحرة، بل وفى كثير من الأحوال ضدرغبات آبائهن فهل الحجاب يمثل نكسـه ضد الحداثة والمعاصرة.

فـإن الإجابـة على هذا يمثـل فى تصور «سـعد الذين إبراهيـم» بأن مثال طالبـة الطب المحجبة هو اسـتجابة معقـدة لعالم معقد مـن حولها عالم لا تسـتطيع السـيطرة عليه، وبالرغم من النجاحات التـى أحرزتها هذه الفتاه فى الامتحانات إلا أنها تجد نفسـها مهزومة غريبة تكاد تكون تافهة وسـط

عـالم حضارى لامجال فيـه للهو واللـذات، كذلك فهى تتعلـق بتراث يبدو وكأنه يستعيد احساسها بجدارة ويحميها من الجمهور و يعيد تأكيد وجودها وشخصيتها، هؤلاء الفتيات تأخذ من الحداثة ما تحتويه من علم وتكنولوجيا ومن التزام بمسـتقبل مهـنى ثم يتركن بقية محتويات حقيبـة الحداثة الذى لم يتسـق مع تراثهن ومـع تعاليم الإسـلام ومع الأصالة، هذا هو السـبب لكى يفرض بعض النظام على عالم يبدو لهن مفعماً بالفوضى والاضطراب[1].

غير أن هناك من يذهب إلى أن ظاهرة حجاب المرأة المصرية ليست ظاهرة آنيـة وليده عقود حديثة، ولكنهـا ظاهرة تاريخية تأرجحت بـين الظهور تارة والإختفـاء تارة أخرى، والعودة إلى الظهور مرة ثانية متخذه صوراً وأشـكالاً مختلفـة تتفـاوت حديثاً بين الحـجـــاب والنقاب، وقد تباينـت دوافع الإقبال عليها بين دوافع الرغبة فى الأحياء الدينى تارة، وبين دوافع الشعور بالاغتراب مرة أخرى، وبين دوافع اجتماعية وسيكولوجية اقتصادية من جهة.

وتعلـو الآن صيحات سـلفية تسـتثمر معانـاة المرأة المصرية في سـعيها للتوفيـق بين أدوارها المتعددة كأم وربـة بيت وعاملة وزوجة، فى ظل نقص خدمات وصور الرعاية الاجتماعية المختلفة التى تساعدها على ممارسة تلك الادوار فتنـادى بعض هـذه الصيحات بالعودة إلى البيت مما يؤدى إلى سـلب حقوقها المشروعة وهو ما يعتبر نوعاً من الردة التى تجذبها إلى الخلف والعودة بها إلى عصر الحريم[2].

(1) انظر رفيق حبيب، مرجع سابق، ص. 160.

(2) انظر. سعد الدين إبراهيم، النظام الاجتماعى العربى الجديد، مركز الدراسات الحدة العربية، بيروت، 1982، ص. ص.40 - 48.

وفى هـذا السـياق يمكـن أن توضـح خصائـص المنتمـين إلى الجماعـات الإسلامية- كما أوضحها - سمير نعيم- المتطرفة فى النقاط التالية:

أ - أن الغالبيـة العظمى من الجماعات الإسـلامية تنتمى إلى فئة الشـباب وقـد اتضح من دراسـة المركز القومى للبحـوث الاجتماعية والجنائية أن مجموعة تنظيم الفنية العسكرية الذى يقوده صالح سرية أوجماعة التكفـير والهجـرة، وكذلك من دراسـة «سـعد الديـن إبراهيم حول هاتين الجماعتين أن أعمار أعضاء هذين التنظيمين تتراوح بين 18، 37 سـنة بالنسبة إلى الجماعة الفنية العسـكرية وبين14، 39 سنة بالنسبة إلى جماعـة التكفـير والهجـرة وفقاً لدراسـة المركز القومـى للبحوث الاجتماعية والجنائية، ويذكر «سعد الدين إبراهيم» أن أعمار أعضاء جماعة الفنية العسـكرية حيث اكتسـابهم العضوية فيها تتراوح بين 17، 26 سـنة بمتوسط قدره (22) سنه أما قيادات هاتين الجماعتين فقد كانـت تزيد بمقدار14، 16عاماً على متوسـط أعمـار الأعضـاء، وتتأكد هذه الحقيقة أيضاً من تقدير «عادل حموده» فى كتابه «اغتيال رئيـس» حيـث يشـير إلى أن جماعـة « خالـد الإسـلامبولى»، كانت أعمارهـم تـتراوح بين 24، 29 سـنه، كـما تبين من تحليـل المعلومات الـواردة في الصحف اليومية أن تنظيم الجهاد عامة يتم التركيز فيه على الأعمار بين 20، 30 سنة للأعضاء، أما القيادات فتتجاوز سن الثلاثين إلى 48 عاماً.

ب- أن غالبيـة أعضـاء التنظيمات الإسـلامية الذين تـم ضبطهم أمضوا معظـم حياتهم قبل انضمامهم إلى هذه الجماعـات فى المناطق الأكثر

حرماناً والأكثر فقراً في الجمهورية، فقد تبين من دراسة «سعد الدين إبراهيم» أن غالبية أفراد جماعتى الفنية العسكرية والتكفير والهجرة الذين تمت دراستهم (21 فرداً من 34) من مواليد الريف أوالمدن الصغيرة فى الأقاليم، وأنهم انضموا إلى هذه التنظيمات بعد فترة قصيرة من انتقالهم إلى المدن الكبيرة كالقاهرة والإسكندرية وأسيوط بعد أن حصلوا علي الثانوية العامة فى أثناء إقامتهم بالريف، وكان أغلبهم يعيشون بمفردهم فى المدينة أو يقطنون مع زملاء لهم وليس مع أسرهم.

وبعد انتقالهم إلى المدينة ظلوا يقطنون فى المناطق المحرومة أوالفقيرة فيها التى تعانى كل مشكلات الحياة اليومية ويؤكد ذلك «عادل حموده» حيث يقول فى كتابه اغتيال رئيس أن جماعة خالد الإسلامبولى ينتمون إلى أصول ريفية ولم تنقطع صلتهم بالأقاليم، كما يؤكد تقرير المركز القومى للبحوث الاجتماعية والجنائية بشأن جماعة التكفير والهجرة هذه النتائج، حيث يتضح أن معظم المتهمين فى القضية (الذين يبلغ عددهم 47 متهماً) ذكروا أن نشأتهم ريفية وأنهم قادمون من الريف إلى القاهرة منذ فترة زمنية لظروف العمل أولظروف خاصة بالعمل التنظيمى، أما معظم الأعضاء من داخل القاهرة فيسكنون الضواحى الكبرى للمدنية من المعصرة وشبرا ومصر الجديدة ودار السلام والمعادى والمطرية والهرم.

ويرى سمير نعيم أنه لا عجب أن تستمر الجماعات الإسلامية

المتطرفة أعضاءها، من هذه المناطق التى تعانى التخلف والفقر والحرمان من إشباع الحاجات الأساسية للإنسان فيها، وبخاصة بين قطاعات الشباب الذين لا تتاح لهم فرص الهجرة لصغر سنهم، وقلة خبرتهم وعجزهم عن توفير مصاريف السفر وعدم الحاجة إليهم فى البلدان النفطية من جهة، والذين تمنعهم فى الوقت نفسه القيم الريفية والشعبية من الانخراط فى الأعمال الإجرامية وغير المشروعة واللاأخلاقية والذين يجدون الطريق موصداً أمام إمكانية حدوث أى تغيير فى أوضاعهم وأوضاع أسرهم وقراهم، ويخبرون المعاناة والفقر طوال سنى حياتهم، كل هذا في الوقت الذي يشهدون فيه ذلك التفاوت الهائل فى حظوظ البشر في مصر، فلقد أوضح تقرير البنك الدولى الصادر عام 1980، أن نصيب أعلى (5 %) فى مصر من الدخل القومى أرتفع من (7 %) إلى (22 %) خلال عقد السبعينيات، بينما أنخفض نصيب (20 %) من المصريين من (7%) إلى (15%) أى أن توزيع الثروة فى مصر قد زاد أختلالاً لمصلحة الأغلبية الميسورة.

جـ - كما أن غالبية أعضاء التنظيمات الإسلامية ينحدرون من أصول اجتماعية دنيا والبرجوازيه الصغيرة فقد بينت الدراسات التى أجريت عنهم أن ثلثى أعضاء جماعتى الفنية العسكرية والتكفير والهجرة الذين حضروا للدراسة كان هناك (21) من (34) فرداً آباؤهم من صغار مستخدمى الحكومة و(4) منهم كان آباؤهم من صغار المزارعين، واثنان من أبناء العمال وكان (65 %) من الآباء من ذوى التعليم المتوسط فكان هناك (19) من (34) فرداً وخمسة من

ذوى التعليم الابتدائى وثلاثة من الأميين، وبذلك تكون أغلبيتهم من المنتمين إلى الطبقتين الوسطى والدنيا[1].

ولعل هذا يوضح لنا طبيعة شخصية الأفراد المنتمين للجماعات الإسلامية سواء داخل الجامعة أو خارجها فهم من أسر الطبقات الدنيا والوسطى الصغيرة، وجاءوا معظمهم من أصول ريفية، وهم جادون فى تحصيلهم الدراسى إلا أنهم يعيشون - أو هكذا يتصورون - فى عالم معقد لا يستطيعون معه التفاعل والتأقلم، وهم لا يستطيعون مهادنة أو التعامل مع النظام الذى يعيشون فيه ظله فهم وأسرهم يشعرون بوطأة التضخم المرتفع الذى يكاد يعتصرهم اقتصادياً، أنهم يشاهدون مظاهر البذخ والأسراف من حولهم، ولكن الحسرة تنتابهم إذ لا يستطيعون أن ينالوا نصيبهم العادل من تلك الأموال التى تبدد بسفه و إسراف فى مظاهر استهلاكية وترفيهية.

وعلى أية حال يتخذ الانتماء إلى الجماعات الإسلامية عدة مظاهر من أهميتها:

1- انتشار الحجاب وهو يتدرج ما بين غطاء الرأس إلى النقاب وهو يمثل بالنسبة لهم قمة التحدى للحضارة الغربية وبداية الالتزام بالإسلام.

2- الالتزام بالسنة كإطلاق اللحية، وهذه تمثل بالنسبة لهم واجباً شرعياً وليس الجلباب حيث أنه بالنسبة لهم أحب الثياب لرسول الله ﷺ واستخدام المسواك والبخور.

(1) السيد عبد الفتاح عفيفي، الأبعاد الاجتماعية والثقافية والدينية لعودة ظاهرة الحجاب، فى كتاب دراسة المشكلات الاجتماعية، إشراف محمد الجوهرى، دارة المعرفة الجامعة، الإسكندرية، 1993، ص.414.

3- الـزواج المبكر إذ يتم الزواج في المسـجد و يتفق الزوجان على أقامه حياة زوجية إسـلامية، وبيت مسـلم تتفرغ فيه الزوجـة لمـنـزلـهـا ورعاية أبنائها بينما يتفرغ الزوج للكد والسـعى مما يعيد التوازن إلى الأسرة المسلمة.

4- صـلاة العيد فى الخـلاء، اذ يتـم صلاة العيديـن فى الخلاء وفقاً للسـنة المطهرة، ومـن ناحية أخرى فإن هذا بمثابة اسـتعراض القوة العديدة للجماعة الإسلامية.

5- فعـل الخير العام و يظهر في قيام أعضاء الجماعة الإسـلامية من خلال الاتحـادات الطلابيـة بطبـع الكتـب والمـذكـرات الجـامعـيـة والقروض المالية للطلاب الفقراء... إلخ[1].

ومشروع أتوبيسـات الطالبات وحل مشكلات الطلاب مع إدارة الجامعة أوالتعبـير عـن شـعور الطـلاب فيما يقع مـع أحداث تمـس الوطـن والقيام بالرحـلات الترفيهية بتكاليف رخيصة وتشـجيع الرياضـة وطباعة الكتب الإسلامية بسعر رخيص من أجل نشر الثقافة والفكر الإسلامى.

لكـن ما المظاهر الأساسـية للتطـرف الدينى؟ فى الواقـع تتمثل أهم هذه المظاهر فيما يلى:

1- إن أول مظهر من مظاهر التطرف هو التعصب للرأى تعصباً لا يعترف للآخرين برأى، وهذا يشـير إلى جمود المتعصب على فهم ما لا يسـمح له برؤية مقاصد الشرع ولا ظروف العصر، ولا يسمح لنفسه للحوار مع الآخرين.

(1) سمير نعيم أحمد، مرجع سابق، ص ص 266 - 299.

فالمتطرف يرى أنه وحده على الحق وما عداه على الضلال كذلك يسمح لنفسه للاجتهاد فى الحق فى أدق القضايا الفقهية ولكنه لايجيز ذلك لعلماء العصر المتخصصين منفردين أومجتمعين طالما أن ما سوف يصلوا إليه مخالف لما ذهب هو إليه.

2- ومن مظاهر التطرف أيضاً التشدد والغلو في القيام في الواجبات الدينية، ومحاسبة الناس على الجزئيات والنوافل والسنة كأنها فرائض، والاهتمام بالجزئيات والفروع والحكم على إهمالها بالكفر والإلحاد.

3- وهناك مظهر آخر من مظاهر التطرف وهو العنف فى التعامل والخشونة فى الأسلوب والغلظة فى الدعوة دون التعامل بالحسنى والحوار.

4- ومن مظاهر التطرف ولوازمة سوء الظن بالآخرين والنظر إليهم نظرة تشاؤمية لا ترى أعمالهم الحسنة وتضخم من سيئاتهم، فالأصل هو الاتهام والإدانة، وقد يكون مصدر هذا الثقة الزائدة فى النفس التى قد تؤدى فى مرحلة لا حقه بالفرد أوالازدراء للغير

5- يبلغ هذا التطرف مداه حين يسقط المتطرف فى عصمة الآخرين ويستبيح دمائهم وأموالهم وهم بالنسبة له متهمون بالخروج عن الإسلام ولهذا تصل دائرة التطرف مداه فى حكم الأقلية على الأكثرية بالكفر والإلحاد، وهذه الظاهرة متكررة وليست وليده العصر بل وقع فى نفس الخطأ الخوارج وغيرهم من غلاة الفرق الإسلامية.

ويعمل التطرف المؤدى إلى العنف على التغرير بالشباب لتكوين منظمات وخلايا سرية وتدريبهم على أعمال السلاح والقيام بأعمال التدمير والتخريب بهدف اغتيال القادة و إشاعة الفوضى على مرافق الحكم، وتستعين

الجماعات المتطرفة فى كافة أشكالها على مجموعة من المداخل المنهجية التى تستعين بها والتى من أهمها:

1- المنهج الحرفى فى تفسير النصوص، و يعتمد على انتقاء آيات وأحاديث معينة والتمسك المطلق بحرفيتها دون الالتفات للمقاصد العامة لها دون ملاحظة لوظيفة وللواجبات الدينية فى تحقيق أهداف عملية فردية واجتماعية، وكذلك دون الالتفات إلى أسباب النزول أو معرفة بأصول الاستدلال اللغوى والفقهى ودون التمييز بين القاعدة والاستثناء المرتبط بسببة، ومن هذا القبيل اعتبارهم المجتمعات الإسلامية المعاصرة بمجتمعات كافرة لأنها تحكم بقوانين وضعيه وذلك استناداً لتفسيرهم للنص القرآنى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْكَٰفِرُونَ﴾ [المائدة: 44] ولقد ذهب المتطرفون فى هذا الاتجاه إلى استخدام أساليب العنف وتخريب مؤسسات المجتمع استنادا إلى التفسير الخاطئ لقوله تعالى ﴿مَا قَطَعْتُم مِّن لِّينَةٍ أَوْ تَرَكْتُمُوهَا قَآئِمَةً عَلَىٰٓ أُصُولِهَا فَبِإِذْنِ ٱللَّهِ وَلِيُخْزِيَ ٱلْفَٰسِقِينَ﴾ [الحشر: 5].

2- الطاعة المطلقة لأمير الجماعة والذى غالباً ما لا يكون على علم بأحكام الشريعة ومقاصدها أوعلى دراية بأساليب العمل الجماعى والسياسى وأن هذه الطاعة المطلقة التى تستند إلى التبعية فى المنشط والمكره هى الأسباب التى يندفع منه لمجموع الشباب إلى مصارعها والى هلاك الحرث والنسل من حولها دون أن تتوقف وتتراجع أو تتسائل (وهى) الاداة الرئيسية التى تصبح عن طريقها تلك الجماعات الدينية الإسلامية دولة داخل دولة.

3- العزلة عن المجتمع، والعزلة فى نهج هذه الجماعات الإسلامية تؤدى إلى وظيفتين، الوظيفة الأولى تجنب أعضاء الجماعة المنكرات التى تملأ جوانب المجتمع وحمايتهم من أن يشاركوا فى نهج الجاهلية، والوظيفة الثانية تكون مجتمع خاص بهم تطبق فيه مبادئ الإسلام وتتسع دائرته شيئاً فشيئاً حتى تستطيع فى النهاية غزو المجتمع الجاهلى من خارجه، وكما هو واضح فإن الوظيفة الأولى دينية فكرية بينما الوظيفة الثانية سياسية حركية[1].

4 - ينطلق فكر الجماعات الإسلامية من أفكار «سيد قطب» و«أبو الأعلى المودودى» حول فكرة أو نظرية الحاكمية الإلهية والتى تقتضى أن لا حاكمية إلا لله، ولا شريعة إلا من الله ولا سلطان لأحد على أحد لأن السلطان كله لله ثم يؤكد «سيد قطب» أنه ليس من المستساع الخروج على الشرع - أى على الحاكمية - بدعوى التعارض بين الشرع وبين مصلحة البشر، فمصلحة البشر متضمنة فى شرع الله، فإذا بدأ للبشر ذات يوم أن مصلحتهم فى مخالفة ما شرع لهم الله فهم أولاً واهمون وهم ثانياً كافرون.

وتتضح هذه الرؤية التى قدمها «سيد قطب» من خلال مفهوم أخر هو مفهوم الجاهلية، وفى محاولة تحديد هذا المفهوم يرى المفكر الإسلامى « سيد قطب «أن الإسلام لا يعرف إلا نوعين أثنين من المجتمعات مجتمع إسلامى ومجتمع جاهلى ليست فترة من الزمان وانما هى حالة تتكرر كلما أنحرف المجتمع عند نهج الإسلام فى الماضى والحاضر والمستقبل على السواء، ومثلما

(1) محمد بيومي، مرجع سابق، ص 486.

جاء الإسلام أول ما جاء ليهدم الجاهلية و ينسخ (يمحو) نظمها وتصوراتها، كما رفض المسلمون الأوائل أية مصالحة مع الجاهلية كذلك يجب على الجماعة المسلمة الجديدة أن تصنع نفس الشيءفنحن نرفض كل هذه الأنظمة في الشرق، أو في الغرب، لأنها منحطة ومتخلفة بالقياس إلى ما يريد الاسلام أن تبلغه البشرية.

وعلى هذا يعتبر الإسلام - من وجهة نظر «سيد قطب» - تصوراً مستقبلاً للوجود والحياة تصور كامل ذو خصائص متميزة، ومن ثم ينبثق منه منهج ذاتي للحياة كلها بكل مقوماتها وارتباطاتها و يقوم عليه نظام ذو خصائص متميزة من خلال رسم الطريقة أوالمنهج الذي سوف يسمح بالقضاء على الجاهلية وبناء المجتمع الإسلامي، و يرى أن ذلك يمكن أن يتم وفقاً لمرحلتين الأولى التعمق الروحي للطليعة التي ستتحمل عبء بناء الأمة الإسلامية والثانية المعركة ضد المجتمع الجاهلي و يتحقق إنجاز المرحلتين من خلال الجهاد[1].

وقد روج هذه الأفكار آلاف الشباب من الجماعات الإسلامية. وعلى هذا يذهب المتطرفون إلى اعتبار الديمقراطية كفر لأنها تسمح للأقلية أن تصور تشريعات تتيح المنكرات وتحل المحرمات، ولقد ذهب كل فريق من هؤلاء إلى جماعته، لو كانت عشرة أوعشرين هي جماعة المسلمين وأن من بلغته دعوتها ولم ينضم إليها فقد كفر ومن لزمها ثم تركها فقد ارتد.

(1) محمد أحمد بيومى، مرجع سابق، ص ص 464 - 467.

خامساً: الآثار الاجتماعية للتطرف الديني

باعتبار التطرف حالة من الجمود والانغلاق العقلي وتعطيل القدرات الذهنية عن الإبداع والابتكار- و إيجاد الحلول للمشكلات المتغيرة في عالم سريع التغير، وعلى ذلك يكون انتشار هذه الحالة مهدداً لا لتطور المجتمع فحسب، بل لنقائة واستمراريته ولكن الجدير بالذكر هنا أنه لا بد أن ندرك أن التطرف سبب ونتيجة في آن واحد للتخلف والركود اللذين يراد لمصر، وتتلخص آثار التطرف الخطيرة فيما يلي[1]:

1- التدهور في الإنتاج، ذلك أن أهم عنصر في قوى الإنتاج هو الإنسان العامل الذي لا بد لكي يطور إنتاجه من أن تتطور قدراته العقلية بحيث يكون قادراً على الإبداع والابتكار والتجديد، فإذا ما كان أسيرا لا فكار جامدة وعاجز عن التفكير وأعمال العقل سيجعله ذلك متمسكاً بالأساليب الباليه العتيقة في الإنتاج، بل كذلك في تنظيم العمليات الإنتاجية ذاتها.

2- يمثل التطرف الديني دائماً حنيناً إلى الماضي والعودة إلى الوراء أي أنه يكون دائماً ذا منحى رجعي أومحافظ على أحسن الأحوال وبالتالي فهو يجر العلاقات الاجتماعية إلى أوضاع بالية لا تتناسب مع كل تقدم العصر.

3- يرتبط التطرف دائماً بالتعصب الأعمى والعنف الأمر الذي يقود إلى سلسلة لا متناهية من التعصب والعنف المضاد، الذي يؤدى في النهاية إلى صراعات مدمرة داخل المجتمع.

(1) على ليله، مرجع سابق، ص ص 375 - 381.

4- يرتبط التطرف دائماً بالتدهور الثقافي والفكري والعلمي والفني أنه قتل للإنسان باعتباره كائناً مبدعاً.

5-- يعطل التطرف الطاقات الإنسانية كافة و يستنزفها فى الصراعات والعداءات ويحول دون تكامل المجتمع.

6- أن الغلو في التطرف يؤدى إلى عجز المجتمع عن التفكير في حلول مبدعة لمشكلاته وعن تطوير ذاته، و يصبح تابعاً و يفقد استقلالية وتحديد مصيره ومستقبله.

الخاتمة

في ختام هذا التحليل الموجز لظاهرة التطرف الديني في المجتمع المصري تبين أن ظاهرة التطرف ظاهرة عامة تصيب كل الأديان في كل زمان ومكان، وكل المجتمعات الشرقي منها والغربي، وأنه لا يمكن فهم التطرف إلا في إطار البعد التاريخي، حيث أننا لكي نفهم عملية التطرف فلا بد أن نركز على الظروف التاريخية والعوامل التي أدت إلى ظهور هذه الظاهرة وهي عادة الظروف التي تشخص حالة مجتمع مر بأزمة معينة، تجعل عمليات الإحياء الديني أوالانبعاث الديني يتحول من مستوياته السوية والعادية إلى مستوياته غير السوية حيث التطرف والعنف.

وتتميز معظم الجماعات الإسلامية المتطرفة بأنها كلها تنتمي إلى السرية الشبابية حيث نلاحظ أن الشباب هم أكثر أعضاء المجتمع مشاركة في عملية الإحياء الإسلامي وتحملاً لأعبائه وأنهم ينحدرون من قلب الإحياء الشعبية والطبقات الدنيا والمتوسطة ومن الأصول الريفية، كما تتفق غالبية هذه

الجماعـات في أن معظمها يظهـر من خلال الأزمة والمشـكلات الاجتماعية التـي يمر بها أي من المجتمعات الإسـلامية، حقيقة إن الأزمة ليسـت العامل الحاسـم ولكنها تعتبر عامـلاً مهماً من العوامـل المعجلة للتفاعـل وتنامي في حركة الجماعات الإسلامية.

كـما لا يمكن فهـم التطرف الديـني إلا بفهـم طبيعة التنظيـمات الدينية التـي هي مخاض لهذا الفكـر فمن خصائص هذه التنظيـمات أن تفرض على أعضائهـا طريقة معينة في الحياة تهدف إلى النقـاء الخلقي والروحي، ونفس الوقت الإحسـاس بالهويـة والذاتية والتمايز، وغالباً مـا يتقبل أفرادها هذه الأوامر بدون مناقشة. لذا فالتطرف كظاهرة هو نوع من القلق الزائد الذي يعانى منه المتطرف إما لفراغ فكرى أولنظرة تشـاؤمية، أوطاعة عمياء لأحد القـادة الدينـين، ومحاولـة وضع حل لا عادة الإسـلام إلى مكانـة في المجتمع الإسـلامي، والعنف كأحد وسـائل التطرف مظاهره وأهدافه معروفه سواء في الأربعينيات أوالخمسـينيات أوحتى في السـبعينيات مـن القرن العشرين بنفس الأفكار ونفس الوسائل، ونفس الأهداف.

وعلى هذا فإن مواجهة هذه الظاهرة (التطرف) يتطلب وضع اسـتراتيجية طويلة المدى على المستوى القومي ترتكز على ضرورة التطوير الحقيقي للتعليم بكافة مراحله بحيث يشـجع النقاش والنقـد والابتكار والإبداع، تعليم يقوم على الحـوار والنقاش كما أسـماه «باولوفرارى». ومحاربة الفسـاد بكل صوره والاتجـاه إلى أقامـه مـشروع تنموي نهضوى شـامل يكون عـماده جميع أفراد الشـعب وضعاً، ومشـاركـة وتنفيذاً مـع إعلاء قيمة العلـم والعمل والثقافة والانتماء والتوزيع العادل للثروة والربط بين العطاء للمجتمع والعطاء للفرد.